ولا بدَّ هنا مع ذلك من ابداء ملحوظ وهو انَّ (الشأول) المذكور يوصف كمحلّ تجتمع فيهِ النفوس كلها مع قطع النظر عن صلاحها او خبثها وذلك لانَّ السماء كانت أُقفلت حتى في وجه الابرار بعد خطيئة آدم في الفردوس وكان السيد المسيح هو المنتظر لفتحها. ولذلك ترى في بعض اسفار العهد القديم كالمزامير وسفر الجامعة بعض آيات تدلُّ على فناء المرء بعد الموت وسوء المصير في الحياة الآخرة وليس ذلك نكراناً لعواقب الانسان بل اشارة الى رُعب هذا المكان المهول الذي تسكنهُ النفوس موقتاً الى زمن مجيء المسيح. وبعض هذه الآيات تقابل بين حالة الحيوان وحالة الانسان في حياته المادّية فقط دون حياتهِ الروحيَّة

على اننا نسلِّم بانَّ كتبة العهد القديم جهلوا اشياء كثيرة من امور الآخرة عرَّفنا بها السيد المسيح الَّا انَّهُ لا يُنكر ايضاً انَّهم علموا باخصّ تلك الاسرار اجمالاً وانَّ اعتقادهم في ذلك ليس هو دون اعتقاد غيرهم من الامم المتمدنة كاليونان والرومان بل يفوق عليهم بكثير

وبهذا نختم كلامنا الموجز في هذا البحث الخطير الذي لو اتَّسعنا فيهِ كما ينبغي لادَّى بالقرَّاء الى السأم. وتتمَّةً للفائدة نشير اليهم بان يراجعوا مقالات كتبها حضرة الاب انطون صالحاني في سنتي المشرق التاسعة والعاشرة (١٩٠٦ و١٩٠٧) لها علاقة بهذا البحث عنوانها قبل الولادة وبعد الموت.

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب السابع

النصرانيّة في العراق

ان صعدت من بلاد البحرين وجهات الاحساء انتهى بك السير الى مفاوز

ولسعة يحدُّها شرقاً خليج العجم وغرباً بوادي قحطة جرداء. لكنَّ شمالها اراض طيّبة كثيرة الخيرات تُعَدّ من اخصب بلاد الله يسقيها النهران الكبيران الفرات ودجلة فيجعلانها جنّات غنّاء. تزاحمت على ملكها الامم القديمة من بابليين وكلدان واشوريين وشبعوا من دسمها ووفرة غلّاتها. وكان العرب يدعون تلك الانحاء بالعراق ويخصّون باسم السواد الارياف المجاورة لبوادي العرب

والعرب منذ سالف الاعصار كانوا لا يزالون يراقبون تلك البلاد طامعين في ثروتها حتى اذا وجدوا غرّة من عمّال الامم المالكة عليها غزوها وبسطوا ايديهم اليها ريثما يزحف اليهم مَن يردّهم الى بواديهم. وكان ملوك العراق في الغالب يفضّلون محالفتهم فيجعلونهم كحرس ثغورهم وسور مملكتهم على شرط ان يُغطّوا حظّهم من مستغلّات تلك الجهات ويسرّحون في مراعيها قطعانهم

لكنَّ القبائل المحالفة لمالك العراق كان يحسدها على هناء عيشها غيرها من القبائل فتسير اليها من الجنوب ولا تزال تزاحمها الى ان تغلبها على منازلها فتسكنها معها او بدلاً منها. ومن القبائل التي ذكرها المؤرخون ووصفوا سيرها الى سواد العراق قبائل يمنيّة من الازد تركوا بلاد اليمن سواء كان ذلك لانفجار سدّ مأرب على قولهم او لاسباب أخرى كالمزاحمة وتوفُّر النسل فعدلَ قسم منها الى غرب البلاد نحو الشام وهم الغسّانيون تحت امرة جفنة بن عمرو بن ثعلبة وتوغّل القسم الآخر في الشمال تحت قيادة مالك بن فهم واذ وجدوا في تلك الجهات عشائر من اياد ولخم وغيرهما انضمّوا الى بعضها وقهروا البعض الآخر حتى رسخت ثبّت قدمهم وثبتت كلمتهم بل اخذوا يسعون في ضبط زمام السلطة على كلّ القبائل التي هناك فغازوا بمرغوبهم وانشأوا لهم دولةً تُعرف بدولة المناذرة كان اول ملوكها جذيمة الابرش فاستولى على جهات السواد الواقعة غربيّ الفرات واتّخذ له مدينة الانبار كقاعدة ملكه ثم نقلها خلفاؤه من بعده الى الحيرة ولم يزالوا يتنابعون في الملك عليها الى ظهور الاسلام فغلب خالد بن الوليد ملكها الاخير المنذر بن النعمان ابي قابوس سنة ١١ للهجرة (٦٣٣ م). وكان ملوك الحيرة في مدّة دولتهم محالفين لملوك العجم من السلالة الساسانيّة بينما كان اخوتهم الغسّانيّون احلافاً للروم في بادية الشام

وان اعتبرنا دين عرب العراق وجدنا الشرك شائعاً بينهم كما في بقيّة جهات

العرب ورجت عندهم خصوصاً عبادة الكواكب والسيّارات السبع كما ألفها عرب اليمن والكلدان اهل العراق ولعلّهُ دخل في دينهم ايضاً شيءٌ من ديانة المجوس كتعظيم الشمس والنيّرات

امّا النصرانيّة فكان لها فيهم تأثير عظيم. وهذا ما يلوح من الآثار القديمة التي ورد فيها تاريخ تلك البلاد بعد السيد المسيح فلمّا اشرقت شمس النصرانيّة سار دُعاتها الى ما بين النهرين والجزيرة والعراق فدعوا اليها اهل تلك الاقطار فلبّوا دعوتهم وانتظمت الجموع الغفيرة في سلك النصرانيّة. واذ كانت العرب ممتزجة مع سكّان تلك الجهات اقبلوا هم ايضاً الى التديُّن بها وجحدوا عبادة الاصنام والكواكب. ولنا على تنصُّر عرب العراق شواهد سبق بعضها عهد مالك بن فهم

فمن ذلك ما رواهُ كتبة الكلدان عن اوّل من بشّر بالدين المسيحي في مواطنهم وكان العلامة يوسف السمعاني في مكتبته الشرقيّة (٤ : ٥ — ٣٠) جمع عدة شواهد من اقوالهم تصرّح بانتشار النصرانيّة في العراق ونواحي اشور وبابل على يد الرسولين توما وبرتلماوس وبدعوة ثلاثة من المبشرين الاوّلين اعني ادّي او تدّاي احد السبعين وتلميذيهِ آجي وماري. لكنَّ كثيراً من علماء التاريخ لم يسلّموا لهُ بصحّتها اذ رأوها حديثة العهد من القرن العاشر فما بعد لكنَّ الاكتشافات الحديثة في السريانيّة لم تُبقِ ريباً في الامر اذ ثبت انَّ ادّي الذي يعتبرهُ الكلدان كرسولهم كان حقّاً من تلامذة السيّد المسيح وانَّ بشارتهُ في جهات العراق لا يجوز نكرانها. فانَّ اقدم التواريخ الكلدانيّة من القرن الخامس الى التاسع التي نُشرت مؤخّراً كتاريخ « برحدبشابا عرايا » وتاريخ « مشيحا زخا » وشعر نرساي في القرن الخامس وشهادة آباء مجمع المدائن المنعقد في بلاط الملك كسرى سنة ٦١٢ واعمال الشهداء والكتب الطقسيّة القديمة كلّها تشير الى بشارة الرسول ادّي (١ كما ان بعضها يروي اعمال القديس ماري تلميذ ادّي (٢ . وفي الشواهد عن هؤلاء

١) اطلب كتاب حضرة القس منگنا المنون (A. Mingana : *Sources Syriaques*) وكتاب السيد عبد يشوع خيّاط في الكلدان والناطرة والرئاسة البطرسية Eb. Khayyath: *Syri Orientales seu Chaldæi*)i

٢) اطلب ترجمتهُ التي نشرها لاوّل مرّة في الاصل السرياني السيّد ابّلوس J. B.) Abbeloos : *Acta S. Maris*)

المبشرين الاوَّلين للكلدان ربَّما ذكروا ايضاً تبشيرهم لنواحي العرب. قال صاحب كتاب النحلة من كتبة القرن السابع: « وكان الداعي والمنصِّر والمتلمذ والمدبِّر بالجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وما والاهُ من بلاد التيمن والحرَّة ونواحي العرب من التلاميذ السبعين ادّي وماري ولحق بهما من التلاميذ الاثنى عشر ناثنيل وهو ابن ثلماي (اي برتلماوس) » وقد قال سليمان بن ماري عن هذا الرسول (ص٥): ان برتلماوس تلمذ مع ادّي وماري « نصيبين والجزيرة والموصل وارض بابل والسواد وبلاد العرب وارض المشرق والنبط »

وقد سبقهما القديس افرام الكبير في القرن الرابع وذكر بشارة ادّي الى الرها والمشرق في اليمر الذي مدح فيهِ مدينة الرها

امَّا ماري فانَّ ذكرهُ لا يكاد يفترق عن ذكر ادّي في الشواهد السابق ذكرها كالكتب الطقسيَّة النسطوريَّة واعمال المجامع وترجمتهِ الموماً اليها وكلها تشير الى دعوتهِ بين العرب في بلاد ميشان وسواد العراق وسكَّان الخيام. قال ابن ماري في تاريخ فطاركة المشرق: « انَّ ماري بادر الى تلماذ جميع نواحي ارض بابل والعراقين والاهواز . . . وبلاد العرب سكَّان الخيم ونجران وجزائر بحر اليمن ». وقد روى الطيِّب الذكر السيد عبد يشوع خيَّاط في مقدِّمة اعمال مار ماري (١ انَّ ذخائرهُ وُجدت سنة ١٨٧٩ مع ذخائر يشوع سبران احد شهداء القرن السادس بين آثار كنيسة قديمة موقعها في كرملاش شرقيّ الموصل. فهذه الشواهد من شأنها ان تزيل الشكَّ في تاريخيَّة ماري التي ارتاب فيها البعض

قُلنا انَّ بعض قبائل العرب كانت سبقت مالك بن فهم في سكنى العراق من جملتها بنو اياد الذين يذكر المؤرخون تنصُّرهم منهم البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨). وقد اشار شاعرهم لقيط بن يعمر الايادي الى بيعهم في قصيدتهِ العينيَّة التي كتبها ليحذِّرهم من غزوة كسرى وهي من اقدم الآثار العربيَّة فقال:

تاتْ فؤادي بذات الجزع خربةٌ مرَّت تريدُ بذات العذبة البيَعا

ففي ذكرهِ للبيع في ديار اياد على عهد كسرى شاهد على شيوع النصرانيَّة بينها

(١ اطلب هذه الترجمة (Acta S. Maris, 7-8)

منذ القرن الرابع وهذا يخالف رواية ابن دريد في الاشتقاق (ص ١٠٥ ed. Wüstenfeld) حيث أخّر تنصّرهم قائلاً: « اياد قدم خروجهم من اليمن فصاروا الى السواد فالحّت عليهم الفرس في الغارة فدخلوا الروم فتنصّروا »

وكان ايضاً بين قبائل العراق قوم من لَخم . وفي السيرة الحلبيّة (طبعة مصر ٣: ٩٥) انّ بني لخم كانوا من عدد القبائل المتنصرة لكنّ الكاتب لم يذكر زمن تنصّرهم

ولمّا ظفرت النصرانيّة بالدين الوثني في الدولة الرومانيّة بجاوس قسطنطين على منصّة الملك بلغ صدى ذاك الانقلاب حتى العراق وحدثت نهضة جديدة ساقت الالوف المؤلفة الى التنصّر رغماً عن معارضة ملوك العجم حتى كادت النصرانيّة تعمّ تلك الانحاء كلها وتستأصل شأفة المجوسيّة لكنهُ قام سابور ذو الاكتاف وسفك دماء النصارى مدّة ملكهِ الذي دام سبعين سنة فضحّى ١٦٠,٠٠٠ من المسيحيين الذين كانوا في دولتهِ . واعمال هؤلاء الشهداء قد كتبها شهود عيانيّون تُعدّ رواياتهم من اصدق واثبت التواريخ نشرها السمعاني ونقلها الى اللاتينيّة

ولا غرو ان بين هؤلاء الشهداء كان ايضاً قوم من العرب المتنصّرين كما يُستدلّ من امكنة استشهادهم وبعض اعلامهم كعبد الله والحارث وعزيز وحبيب الخ وقد ذكر اليّا النصيبيني اساقفة على البصرة (وكان اسمها فرات ميشان) منذ السنة ٣١٠

وقد شهد المؤرخون ان سيّاحاً من النصارى كانوا يعيشون بين احياء عرب العراق منذ اواخر القرن الثالث واوائل الرابع ذكرهم المؤرخ سوزمان (١ ودعاهم بالرهبان (Βοσκόμενοι) لانّهم كانوا يعيشون في البرّية ويقتاتون من النبات وروى ذلك المؤرخ « انّهم بحياتهم النسكيّة وفضائلهم العجيبة ردّوا كثيرين من العرب والعجم الى الدين النصراني »

ثمّ تبع هؤلاء السيّاح رهبانٌ غيرهم جروا على مثال رهبان الصعيد واخذوا عنهم طرائقهم النسكيّة فكثيرون منهم اشتهروا في جهات العراق وفي البلاد التي كان يسكنها العرب

---

١) اطلب تاريخهُ (Sozomène, H. E., l. VI, 34)

وممَّن خصَّهم بالذكر قدماء الكتبة الراهب حنَّا الكشكري (١ الذي سكن في بلاد جرم وابتنى ديرًا هناك نحو سنة ٣٢٠

وذكر تاودوريطس المؤرخ القديس سمعان القديم (٢ فروى انهُ كان تنسَّك في بلاد « الاسماعيليين » مختفياً في بعض المجاهل الَّا ان العرب اكتشفوا مكانهُ واتوهُ جرعاً متكاثفة ليسمعوا تعاليمهُ وينالوا منهُ الشفاء لمرضاهم . فاجاب الى ملتمسهم لكنهُ لم يزل يراقب الفرصة ليهرب من لجاجهم ويبقى معتزلًا في مناجاة ربِّهِ

ويروى عن القديس يليان سابا اي الشيخ انهُ ساح في بلاد العرب مع تلميذهِ المسمى يوحنَّا الفارسي (٣ في غضون ذلك القرن الرابع

وفي هذا القرن نفسهِ كانت القبائل اليمنيَّة من آل نصر بن ربيعة الازدي التي انتقلت من جنوبيّ العرب الى الشمال فألقت في جهاتها عصا التسيار واخذت تقوى وتنمو وتضمُّ اليها شتات القبائل العربيَّة لتملك عليها . وكان بين ملوكها الاوَّلين المسمَّى امرؤ القيس بن عمرو المعروف بالبدء الذي طالت مدَّة ملكهِ الى اواسط القرن الرابع . وممَّا يجدر بالذكر ان الكتبة يؤكدون تنصُّرهُ قال ابن خلدون في تاريخهِ نقلًا عن ابن الكلبيّ وغيرهِ (طبعة مصر ١ : ٢٦٣) : « ولمَّا هلك عمرو بن عديّ ولي بعدهُ على العرب وسائر مَن ببادية العراق والحجاز والجزيرة امرؤ القيس بن عمرو ابن عدي ويقال لهُ البدء وهو اوَّل من تنصَّر من ملوك آل نصر وعمَّال الفرس »

ولسنا نحن نرى في الامر عجباً بعد ما روينا عن امور النصرانيَّة في اليمن فهذه القبائل المهاجرة الى الشمال كانت عرفت الدين المسيحيّ في مواطنها فبقيت خميرتهُ فيها عند انتقالها الى العراق . يؤيدُ ذلك ما رواهُ القزوينيّ من امر « الانبياء » الذين ارسلهم الله الى بني حمير ليردُّوهم الى الله قال : « فبعث الله ثلاثة عشر نبيًّا (لاهل اليمن) فكذَّبوهُم » . لكن المسعودي في مروج الذهب (٣ : ٣٩٣) ذكر توبتهم على

١) اطلب المكتبة الشرقيَّة للسمعاني (٤ : ٦٦١-٧٠٤)

٢) اطلب تاريخ الرهبان لتاودوريطس (Migne PP. GG. vol. 82, col. 1350)

٣) اطلب اعمال البولنديين في اليوم ١٨ من شهر تشرين الاوَّل . وممَّا روى تاودوريطس المذكور في تاريخهِ (ك ٣ ف ٢٠) انَّ بعض كتبة زمانهِ نسبوا قتل الامبراطور يليان الجاحد في حرب الفرس الى احد رُعاة العرب

يد اولئك الرسل وانتظام امورهم فقال: «وازال الله انعامهم واموالهم فقالوا لرسلهم: ادعوا لنا الله ان يخلف علينا نعمتنا ويردّ علينا ما شرد من انعامنا ونعطيكم موثقاً ان لا نشرك بالله شيئاً فسألت الرسل ربّها فاجابهم الى ذلك واعطاهم ما سألوا فاتّسعت بلادهم واخصبت عمائرهم الى ارض فلسطين والشام». وقال القزويني ان ذلك «كان بين مبعث عيسى والنبيّ» فتبيّن بقوله هذا انّ هؤلاء الانبياء او الرسل ما كانوا الّا دعاةً لدين المسيح كما يُستدلّ عليه من الشواهد السابقة

ولنا دليل آخر على تنصّر تلك القبائل اليمنيّة في العراق وذلك ما ذكره المؤرخون عنها فقالوا انّ قبائل من قضاعة من تيم اللات وكلب بن وبرة والاشعريين مع قوم من الازد تحالفوا وتآخوا فدُعوا تنوخاً ونزلوا جهات البحرين ثم العراق ما بين الحيرة والانبار وتنصّروا. قال ابن خلكان في ترجمة ابي العلاء المعرّي (ص ٤٩ ed. de Slane): «تنوخ اسم لعدّة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التناصر واقاموا هناك وسُمّوا تنوخاً. وتنوخ احدى القبائل الثلاث التي هي نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب». امّا تنصّرهم في القرن الرابع فيؤخذ من قول صاحب الاغاني عن سابور ذي الاكتاف لمّا حاربهم وكان شعارهم شعار المسيحيين. قال (١١: ١٦٢): «ونزلت تنوخ بالبحرين سنتين... حتى نزلوا الحيرة فهم اوّل من اختطها... ثمّ اغار عليهم سابور الاكبر فقاتلوه فكان شعارهم يومئذٍ: آل عباد الله فسُمّوا العباد» (له بقيّة).

مطبوعات شرقية جديدة

Mgr. A. Baudrillart: Histoire de France, *Paris, Bloud et C^ie^*, pp. IX-328.

تاريخ فرنسة

رأى الكاثوليك خطرًا عظيماً على الناشئة في ما ينشره الكتبة اللادينيّون من الكتب المدرسيّة التاريخيّة فيبثّون فيها زوان الكفر والتشنيع بالدين فقاموا لمعارضتها. وهذا تاريخ فرنسة الموجز قد وُضع لذلك على طريقة مستحدثة تجمع بين